المربّي
أهميته، صفاته، دوره، آثار غيابه

د. حسين علي أحمد(*)
كلية العلوم الإسلامية / جامعة الموصل

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فإن وجود المربي الذي يغطي احتياجات الدعوة بما يسع الأمة هو نقطة البداية في صحة أمتنا، ووجوده في العملية التربوية ضرورة لا يستغنى عنها.

فإذا أردنا أن نبحث عن التغيير في سلوك الفرد والمجتمع فعلينا بالتربية الإسلامية؛ إذ هي سبب سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وهذه أهمية الموضوع.

فالمربون هم الذين يقودون العملية التربوية وخاصةً في الأوقات الحرجة التي تمر بالأمة فيتولّون إعداد الأفراد وتأهيلهم ليعملوا على تحقيق أهداف موضوعة مسبقاً وكذلك موضوعية.

أسأل الله أن ينفع بما كتبت، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

Abstract

The Sunna (method) of Allah, whom be ascribed all perfection & majesty, has been done on the people, that whenever they go remote of the straight way and leave the manner of Allah, Allah sends a messenger to guide them to the straight way. That’s to restore them to the good condition and turn with them to Allah, whom be ascribed all perfection & majesty, along the date of human beings upto the last prophet “Muhammad”, peace be upon him, whom had

---

(*) مدرس في قسم الشريعة.

given the great effort to orient and to lead the nation of Islam (Mohammed's nation) and guide it because of his care on it and its reformation. So our prophet kept on educating the nation of Islam the believement educating of Allah whom be ascribed all perfection and majesty, and he, peace be upon him, alarmed them from the temptation of the world, in addition to orient them to what suits them of their life.

المدخل

عندما تفقد الأمة من يأخذ بأيديها إلى السير نحو حياة طيبة تعيش من ثم في غوغائية وفوضوية؛ لذا فوجود المربي القدوة الذي يغيّر وجه هذا السير ضروري للعملية التربوية السلوكية، فالتغيير في سلوك الفرد والمجتمع يحققه هذا المربي الذي يتصف بصفات معينة يستطيع بها المواصلة في سير العملية التربوية في المؤسسات الاجتماعية.

فالحل الوحيد لهذا الإنسان هو التربية الإسلامية، وهي سبب سعادته في الدنيا والآخرة.

اما معنى كلمة (التربية) لغة فانها تعود إلى أصول ثلاثة هي : (ربّى، ربّ، ربا، فالأصل الأول بمعنى نشأ وترعرع، والأصل الثاني بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه، والأصل الثالث بمعنى زاد ونما)(١).

وأما اصطلاحاً فهي : (علم وظيفته البحث في أسس التنمية البشرية وعواملها وأهدافها الكبرى)(٢).

– ونقصد بالتربية هنا : "معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً، ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه في الأرض"(٣)

التربية الصحيحة هي تكوين الفرد عضواً صالحاً، سليم الروح والعقل والصحة. بل تستطيع القول: بأن التربية هي الحياة، فهي مستمرة مادامت الحياة، والتربية تحقق مالا يحققه التعليم وإن كان دينياً لأنه _ أي التعليم _ عبارة عن تلقين وتبليغ معلومات. والتربية الإسلامية تقوم على القدوة والسلوك.

ونجد القرآن الكريم يركز على هذا الجانب فيقول تعالى ﴿**وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾(٤).

وبالتربية الإسلامية القرآنية يتحققّ التغيير ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾(٥).

– إذن التربية قبل التعليم، لأنها مطلبٌ ينسجم مع الفطرة ويتلائم تماماً مع معايير العقول مهما اختلفت توجهاتها، وتباينت مشاربها، إذ ما قيمة العلم والعلماء إذا ما انحطت الأخلاق وديست القيم وتبددت المروءات، فهذا هو المربّي الأول وأستاذ الأمم (ﷺ)، يقول (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)(٦)، ولقد زكّاه ربّه مادحا له بقوله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(٧).

– من أجل ذلك كانت التربية أولاً ثم يأتي التعليم.

* والعالم الإسلامي يعاني الضعف لأنه تخلّى عن التربية الإسلامية والمربين _ وهذه من القوة التي أمرنا الله تعالى بالإعداد لها – فابتلاه بشتى أنواع الضعف، أضف إلى ذلك الشعور بالهزيمة النفسيّة وأن غيرنا أفضل منّا، وان غيرنا قد تقدم علينا !.

* لكن نقول : إن الحضارات تموت، لتقوم على أنقاضها حضارات، والبقاء دائماً للأصلح والأقوى.

* **وعلى كل رأس مائة عام يبعث الله للناس من يجدد لهم أمر دينهم**(٨).

* هؤلاء الرجال هم الرموز والمربون وهم الأهم على الإطلاق في العملية التربوية، وهم الرأس إذا صلحوا صلح الجسد كله، وإذا فسدوا فسد الجسد كله والمربون هم الذين يتولّون إعداد الأفراد وتأهيلهم ليعملوا على تحقيق أهداف موضوعة مسبقاً وموضوعية.

بعد هذا يمكن القول بأننا بحاجة إلى مربين في الوقت الحاضر ليتولوا زمام المبادرة في قيادة العملية التربوية في المؤسسات الاجتماعية سواءً أكانت مساجد أو مدارس أو كليات أو غير ذلك.

المبحث الأول : أهمية المربي

للحديث عن المربين والرموز أياً كانت علمية أو دعوية أو اجتماعية أهميته، ويتأكد ذلك كلما فقد الناس واحدا من هؤلاء.

- ومن جانب آخر : إن العمل التربوي على مستوياته المختلفة ضرورة لا تستغني عنها الأمة الإسلامية، فهو وسيلة لنقل الأحكام الشرعية من الحيز النظري إلى العمل والتطبيق، ولقد وصف الله نبيه (ﷺ) بأنه مربٍّ فقال ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾(٩).

والتربية واجبة على كل من ولّاه الله تعالى مسؤولية أحد من الناس.

فالمربي له الأهمية الواضحة لأنه يكون عوناً للآخرين في إرشادهم الى ما هم فيه من خلل وعلل.

ونقطة البداية في صحة أمتنا، وجود المربين يغطون احتياجات الدعوة بما يسع الأمة، وأي فشل في ذلك إنما هو فشل في الصميم.

ولا يوجد الكمال في النفس أو الإحسان في السلوك أو القدرة على التعامل إلا إذا وجدت تربية إسلامية، صافية، وذلك لأن مفاتيح النفس البشرية إنما هي في هذه التربية وأصولها وقواعدها(١٠).

وتأتي هذه الأهمية لأن كثيراً من الأخطاء والتقصيرات هي مما لا يعرفها أصحابها، فترتب على ذلك أهمية وجود مربٍّ مخلص يدلّك على الأخطاء فتأخذ بتوجيهاته.

وأمتنا الإسلامية بحاجة اليوم إلى أمثال هؤلاء، يربون أفرادها ويؤكدون على قضايا التربية.

وللمربي الدور الكبير في تحريك النفوس والقلوب والهمم والسير بها في طريق الهداية لكي ينهض بحال إخوانه وينطلق بهم، ويسير معهم في طريقهم إلى الله تعالى، مبيناً لهم معالم الطريق، ومحذراً إياهم من عوائق الطريق ويعيش معهم مع الدقائق التي تؤنسه في الطريق حتى يتصحح لهم المسار إلى الله تعالى ويرتقي بهم نحو المعالي.

وبالنظر لما سبق نقول: إن من ضرورات التربية الإسلامية الصحيحة وجود المربي، وإن نقطة الانطلاق الصحيحة في رحلة الأمة المريضة إلى الصحة وجود المربين.

المبحث الثاني :- صفات المربي

إن ركنى التربية هما : **المنهج الواضح الشامل، والمربي الكفء**، وهذان الركنان هما الأساسيان من الناحية العلمية؛ وإن جوانب الخلل في العملية التربوية إنما تؤول في معظمها إلى الاختلال في هذين الركنين.

وإذا تكلمنا عن صفات المربي فكلامنا يتناول– بلا شك– نصف قضية التربية، بل إنهُ النصف المهم الذي بدونه يتحول الكلام عن المنهج إلى صوت بلا معنى. ومن ثَمَّ تبرز أهمية تحرير المواصفات الكاملة لشخصية المربي، وأهم هذهِ المواصفات:–

١– الصبر وسعة الصدر

التعامل مع الإنسان لهُ شأن آخر وبُعد آخر؛ ذلك أن الناس بشر لا يحكم تصرفاتهم ومواقفهم قانون مطّرد، فترى احدهم تارة يرضى، وتارة يسخط، وتارة هنا وتارة هناك.

ومن يتأمل سيرة النبي (ﷺ) يرى كيف صبر وعانى حتى ربَّى هذا الجيل المبارك؟ وكم هي المواقف التي واجهها؟ ومع ذلك صبر واحتسب، وكان طويل النفس بعيد النظر، كل هذا يفرض على المربي أن يكون طويل النفس، صابراً، عالي الهمة، متفائلاً.

٢– استثمار اللقاءات العابرة والخطاب الخاص

وهذا من هدي النبي (ﷺ)، فكما أنهُ كان يوجه الخطاب لعامة أصحابه، فقد كان يعتني بالخطاب الخاص لفئات خاصة من أصحابه، وقد يكون الخصوص لقوم أو فئة من دون غيرهم، كما فعل في غزوة حنين حين دعا الأنصار، وأكد ألا يأتي غيرهم. وكما بايع بعض أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئاً(١١).

٣– المشاركة العملية

اعتاد بعض المربين أن يكون دورهم قاصراً على إعطاء الأوامر ومراقبة التنفيذ، وهو مسلك مخالف لمنهج المربي الأول (ﷺ) الذي كان يعيش مع أصحابه، ويشاركهم

أعمالهم وهمومهم، فقد شاركهم في بناء المسجد[١٢] وشاركهم في حفر الخندق[١٣]، وأما مشاركتهُ في الجهاد فقد خرج في تسع عشرة غزوة[١٤].

إن مجرد إصدار الأمر والتوجيه أمر يُجيدُهُ الجميع، لكن الدخول مع الناس في الميدان ومشاركتهم يرفع قيمة المربي لديهم ويعلي شأنهُ ويشعرون أنهُ واحدٌ منهم، وهذا أيضاً يدفعهم لمزيد من البذل والهمة والحماس؛ عكس أولئك الذين يقتصر دورهم على التوجيه وإصدار الأوامر وهم بعيدون عن مشاركتهم الفعلية في العمل، ثم إن المشاركة العملية تشيع روح الود والإخاء، وتسهم في بناء علاقة إنسانية وطيدة بين المربي ومن يربيهم.

٤– التربية بالحدث

كانت تربية النبي (ﷺ) لأصحابه (رضي الله عنهم) تتُّمُّ من خلال الحدث، فكان يضع الناس في الموقع والميدان ويأتي التوجيه حينذلك.

يشكو إليه (ﷺ) أبو بكر (رضي الله عنه) الحال وهما في الغار فيقول: **(ما ظنك باثنين الله ثالثهما)**[١٥] وغير ذلك من التوجيهات.

أترى أن تلك التوجيهات لو تلقّاها أصحابها وهم قاعدون في بيوتهم ستترك أثرها؟

إن مثل هذه التربية هي التي خرّجت الجيل الجاد العملي الذي لم يتربّ على مجرد التوجيه الجاف البارد، إنما كان يعيش العلم والعمل معاً.

٥– الاختيار والاصطفاء

إن التربية موجّهة لكل أفراد الأمة أجمع مهما كان شأنهم، والدين خطاب للجميع صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً؛ إلا أن الدعوة والتربية تحتاج لمن يحملها ولمن يقوم بأعبائها، إنها تحتاج إلى فئة خاصة تختار وتربى بعناية.

لذا كان هذا الأمر بارزاً في سيرة النبي (ﷺ) وتربيتهِ لأصحابه، فثمت مواقف عدة في السيرة يتكرر فيها ذكر أصحاب النبي (ﷺ) – وعلى رأسهم أبو بكر وعمر– مما يوحي أن هؤلاء كانوا يتلقون إعداداً وتربية أخص من غيرهم.

٦- التدرج

إن الجوانب التي تتطلب التربية والاصلاح في النفس البشرية هي من الاتساع والتعدد والتنوع بما يجعل تحصيلها في وقت وجهد أمراً عسيراً ومتعذراً.

لذا فإن التدرج في التربية كان معلماً مهماً من معالم التربية النبوية، فخوطب الناس ابتداءً بالاعتقاد، ثم أمروا بالفرائض، ثم سائر الأمور.

وفي الجهاد أُمروا بكفّ اليد، ثم بقتال من قاتلهم، ثم بقتال من يلونهم من الكفار، ومثل ذلك التدرج في تحريم الخمر.

ولكن يبقى جانب مهم مع الإيمان بمبدأ التدرج ألا وهو أن ما نصّ الشرع على تحريمهِ لا يجوز أن نبيحهُ للناس، وما نص على وجوبه لا يجوز أن نسقطهُ عن الناس.

٧- تعويد الآخرين على تحمل المسؤولية

اعتاد كثير من الناس اليوم أن يُكفى كل شيء؛ في المنزل، وفي المدرسة.... ، فأسهم هذا في توليد جيل كسول لا يعرف العمل والمسؤولية.

إننا حين نريد تخريج الجيل الرباني القيادي الجاد ، لابد من ان نعوّده من البداية على المشاركة وتحمل المسؤولية: في المنزل بأن يتولى شؤونهُ الخاصة، وفي المدرسة بأن يبذل جهداً في التعلم.

وعلى المربين اليوم أن يأخذوا بأيدي الآخرين وأن يسعوا إلى أن يتجاوزوا في برامجهم التربوية القوالب الجاهزة، وأن يدركوا أنّ من حسن تربية الناشئة أن يمارسوا المسؤولية، وأن لا يبقوا أكلاء على غيرهم في كل شيء، فينبغي أن يكون لهم دور ورأي في البرامج التي يتلقونها.

فتربية الآخرين على تحمل المسؤولية تجاه مجتمعهم، واستشارة الأصحاب، كل هذا تعويدٌ وتربيةٌ للآخرين وفيها غرسٌ للثقة، وفيها إشعارٌ لهم بالمسؤولية.

وتزخر السيرة النبوية بهذه المواقف كإرساله (ﷺ) الافراد رسلاً إلى الملوك والأمراء، ودعاة للبلدان، واستشارته (ﷺ) في بدر والخندق، وكان يُؤَمِّرُ الشباب مع وجود غيرهم كتأمير أسامة، وغير ذلك من المواقف التي نرى فيها رعاية هذا الجانب.

٨- العلم

ونخص في تحلي المربي بهذه الصفة العلم النافع العملي لا مجرد حفظ واستظهار، ويتحقق بـ:

أ- المنهجية في تحصيل العلم وذلك بالشمول والتوازن والضبط العلمي.

ب- وضع العلم في إطار الهيبة والوقار.

٩- حسن السمت وتمثل مستوى القدوة

فالذي يتحلى بالسمت الصالح والهدي الصالح يُقتدى به، ويحاكي بعض صفات النبوة وكفى بهِ شرفاً إذ يقول رسول الله (ﷺ) :- **((الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد، جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة))**[١٦].

والمراد: أن المربي أول الناس بالاتصاف بحسن السمت والهدي والآداب من كلامٍ، وفعالٍ، وتعاملاتٍ، وملابسَ، وهيئةٍ، وحركاتٍ وسكتاتٍ، ونحو ذلك، إذ أنهُ القدوة الأولى لمن يربيهم.

ويكتسب السمت الحسن بعدة وسائل من أهمها:-

١- إصلاح الباطن: فأدب الظاهر عنوان أدب الباطن.

٢- إعلاء قيمة التأدب وجعلهُ من الأولويات.

٣- الإطلاع على حكايات العلماء وسيرتهم.

٤- لزوم الصالحين والمربين والقدوات الحسنة.

٥- التنفيذ الفوري لما يتعلمهُ.

٦- مجاهدة النفس وتعويدها على الخير.

٧- معاقبة النفس والشدة عليها.[١٧]

١٠- العمق الإيماني

ونقصد بـهِ الجاذبيـة التـي تصـدر عن المؤمن، مـع صـلاح باطنـه، وقربـه مـن الله تعالى فينعكس ذلك على جوارحه وعلى أفعاله وكلامه.

والمربي إن كان كذلك فهو لإخوانه مصدر الانشراح والقوة واليقين.

وتحقيق هذا العمق الإيماني لا يكون بالكلام أو بالتكلف والتحلي الزائف، بل ليس لهُ إلا طريق واحد هو **الإخلاص لله** تعالى والتقرب إليه سبحانه، فإذا اقترب المربي من ربه اقتربت منه قلوب العباد، وإن ابتعد عن ربه ابتعدت عنه القلوب.

ومـن أروع المشـاهد التربويـة الإيمانيـة التـي تصـوّر لنـا أثـر العمـق الإيمـاني علـى التربية:

ذلك المشـهد الـذي رسـمهُ ابـن القيم لشـيخ الإسـلام ابـن تيميـة_رحمهما الله_ يقـول (وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامهُ فيذهب ذلك كلهُ وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة).[١٨]

١١- الاحتواء النفسي

وهو أن تنشأ بين المربي والمُربّى علاقة نفسية قلبية قوية من الحب في الله تعالى، يكون المربي هو الموجِّه فيها بحيث يرتبط بهِ ارتباطاً نفسياً يرفع من مستوى قبوله وامتثالهُ لتوجيهات مُربيه ويُيسر عملية التربية.

وتلخيص هذا بالنسبة للمربي: هو أن يُعنى بالقيام بحقوق الأخوة بمعناها الشامل مـع التركيـز علـى الجوانـب ذات التـأثير النفسـي القوي، ويحـرص علـى أن يتصـف بسـلامة النية وتجنب المسالك الملتوية في التعامل مع الناس.

يقول ابن حزم "أحرص على أن توصف بسلامة الجانب، وتحفّظ من أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك "[١٩]

وكـذلك يتصـف بحسـن معاملـة النـاس فيعـاملهم بمكـارم الأخـلاق، والإيثـار وتـرك الاستئثار مع التنزه عن الاستعانة بأحد من تلاميذه في مصلحة خاصة بهِ.

المبحث الثالث : دور المربي

إن للمربين دوراً مهماً في بناء الأمة، ونستطيع باختصار أن نبرز دورهم في الأمور الآتية :-

١- التعليم والدعوة

للمربين أثر بالغ في تعليم الناس ودعوتهم، وفي نشرهم العلم، وليس أدل على هذا من أن كثيراً من الدعوات الإصلاحية كان من ورائها قيادات ومربون سار الناس وراءهم واستجابوا لهم.

إنهم الذين يُعلّمون الناس العلم، ويقصدهم طلاب العلم ويلازمونهم، وهم الذين يحملون لواء الدعوة إلى الله تعالى ويسير الدعاة وراءهم.

٢- بيان الحقّ للناس

تمر بالناس مواقف وفتن كثيرة يلتبس فيها الحق والباطل، وتسود فيها الأهواء، وحينئذٍ يبدأ دور المربين في تبيين الحقّ للناس وتوضيحه لهم، وفتاوى العلماء المعاصرين في كثير من النوازل دليل على عظم منزلتهم وحاجة الناس إليهم، ويتمثل دورهم في الأزمات في أمرين مهمين :-

١- تمييز الحق من الباطل، وبيان الموقف الشرعي للناس في مثل هذه الفتن.

٢- اتخاذ المواقف العملية وقيادة الناس.

وقد أمر الله تبارك وتعالى الناس بالرجوع إلى أهل العلم في مثل هذه المواقف والفتن فقال : ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[٢٠].

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _ يجمع بين الأمرين في موقفه من التتار، فقد تردّد الناس في حالهم، فأفتى بكفرهم ووجوب قتالهم وقال : ((وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم))[٢١]، وقال للناس : ((إذا رأيتموني في ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني))[٢٢].

٣- إنكار المنكرات وإزالتها

حين تقع المنكرات العامة يكون للمربين دور كبير في إنكارها والاحتساب عليها، وقد عاب الله تعالى على طائفة من أحبار أهل الكتاب ورهبانهم موقفهم اذ كان ينتظر منهم أن يبيّنوا الحقّ للناس وينهوهم عما يأتوهم من منكر فقال ﴿**لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾[٢٣].

قال الحسن : ((لولا ينهاهم الربانيون والأحبار)) الحكماء والعلماء[٢٤].

وإنكار المربين والعلماء ليس كإنكار غيرهم، فأصحاب المنكر إما أن يستجيبوا لهم ثقة في علمهم ورأيهم أو مجاملة وخشية، وحين يتجرؤون على مخالفتهم فهم أجرأ على مخالفة غيرهم.

٤- لجوء الناس إليهم في الفتن والشدائد

أعلم الناس بالفتن وأكثرهم إدراكا لها هم العلماء والمربون، ولهذا كان الناس يلجأون إليهم حين يحل بهم أمر جلل.

وها هم أصحاب النبي (ﷺ) يتجهون الى ابي بكر (ﷺ) وينصتون له حين تكلّم وخاض الناس في أمر وفاة النبي (ﷺ)، وما أن سمعوا كلامه (ﷺ) حتى انصرفوا موقنين.

ومن بعد هذا الجيل كان لأهل التربية والعلم هذه المواقف[٢٥].

٥- حل مشكلات الناس والإصلاح بينهم

للمربين منزلة بين الناس، ويصدر الناس عن رأيهم، ولذا كان من آثارهم الإصلاح بين المتخاصمين من المسلمين، كما كان النبي (ﷺ) يفعل ذلك، فعن سهل بن سعد (ﷺ) أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله (ﷺ) بذلك، فقال : ((اذهبوا بنا نصلح بينهم))[٢٦].

المبحث الرابع : آثار غياب المربي، وواجبنا تجاه غيابهم

المطلب الأول :- آثار غياب المربي

كما ذكرنا آنفاً أن للمربين والقادة دوراً عظيماً ومهماً وآثارا حميدة، ومن أعظم آثار غيابهم.

١ – فقدان أدوارهم

ولا يستطيع أحد أن يسدّ الفراغ الذي تركه هؤلاء المربون أو يضمر دورهم التربوي وهذا الأمر من أعظم الآثار الخطيرة.

٢ – فقد المربين والعلماء من آثار رفع العلم

فقد العلماء رفعُ للعلم، وقد اخبر بذلك (ﷺ) حيث قال ((**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا**))(٢٧).

٣ – فقدهم مدعاة لتصدر الجهلة

حين يغيب المربون – وكيفما كان غيابهم –يتسع المجال لتصدُّر طائفة من الجهال، فيخوضون فيما لا يحسنون، فيضلون ويضلون، وهذا ما اخبر به النبي (ﷺ).

واتسعت في هذا العصر فرص الشهرة لمن ليس أهلاً لها، فوسائل الإعلام تتيح الفرصة لتصُّدر أي مغمور، وغلبة الجهل بالشرع واحكامه تجعل الناس يصدقون من يسمعون، بل ان معايير الناس في الحكم على من يحمل العلم فيقبل قوله أو من هو دون ذلك، ليست موضوعية بل هي معايير تتفق مع ثقافة عامة الناس وطريقة تفكيرهم.

لذا نلحظ أن من يجيد الحديث عن بعض مشكلات الناس المعاصرة، ويتحدث لهم باللغة التي يفهمونها، وتتسم آراؤه بالتساهل أو (الانفتاح والمرونة) كما يُسمى اليوم، إن هذا الصنف هو الذي يجد له رواجاً وقبولاً بين الناس، حتى وان كان لا يحمل من العلم الرباني الشرعي الموروث أي رصيد.

وهكذا من يتناول بعض الموضوعات الحيوية لدى الناس، ويجيد الإلقاء والخطابة، فيرّتب بعض الأفكار والعناصر التي يعرفها بعض المستمعين له، ويدعم حديثه ببعض

الشواهد والقصص وربما بعض الأرقام والمعلومات، مثل هذا الصنف من المتكلمين يجد له رواجاً وقبولاً واسعاً لدى الناس.

ولا اعتراض على ما يقدمه هؤلاء، فطائفة كبيرة وكثيرة منهم هم من الغيورين الصادقين نحسبهم كذلك والله تعالى حسيبهم، لكن المشكلة تتمثل في تَسَوّد أمثال هؤلاء، وتحدثهم فيما لا يحسنون، واستشارة شباب الصحوة لهم وصدورهم عن رأيهم، والجانب الآخر من المشكلة يتمثل في تسطيح تفكير المستمعين لهم وتهميشه ، والقعود بهم عن الارتقاء في الفهم وتناول المشكلات.

المطلب الثاني :- واجبنا تجاه غياب المربي

إذا كان تأثير المربين في ساحة التربية والعلم بهذا القدر، وكان غيابهم يترك هذا الفراغ الهائل، فان الدعاة وطلبة العلم هم من أكثر الناس التصاقاً بهذه القضية وتتمثل واجباتنا تجاه غياب المربين فيما يأتي :-

اولاً :- ايجاد المربين والقادة

يمكن القول إن من واجبات المؤسسات الاجتماعية والتربوية إعداد المربين والقادة على وفق صفات ومؤهلات تمكنهم من العمل في المجال التربوي لقيادة العملية التربوية، ومن وسائل تحقيق ذلك :-

أ- الاعتناء بهذا الجانب

ويتمثل هذا بإعطاء الاعتبار اللائق للعلم ضمن المنهج الدعوي، ولاسيما أننا اليوم نعيش في عصر قلت العناية فيه بالعلم الشرعي، حتى أن كثيراً من شباب الصحوة بدأوا يزهدون في هذا العلم، محتجين بأنه شأن المختصين، وأن الناس لا يمكن أن يكونوا كلهم علماء، وتضيع اليوم أوقات كثيرة من الناس أمام شاشات الانترنيت في جدل تافه، وتعالٍ

ممقوت، أوفي قراءة طائفة من الكتب التي قد تفيد جانباً من جوانب الحياة، لكنها ليست بأولى من الفقه في دين الله.

ب- إعادة النظر في المناهج التربوية

تحتاج تربيتنا اليوم إلى مزيد مراجعة ودراسة، لأنها أصبحت تربّي على التقليد والتبعية، وتُخَرِّج جيلاً من الأتباع أكثر من أن تُخَرِّج قادة ومربين يقودون ويربون الناس، ومن مجالات إعادة النظر ما يأتي :-

١- التخلص من الاستبداد التربوي، فثمت طائفة من المربين تنقل الشاب من التقليد لأهل العلم إلى التقليد لهم، فخطأ مربيه خير من صوابه هو، وليس من حقه أن يقول: لِمَ، فضلاً عن أن يقول : لا.

٢- التخلص من التسلط الذي لا يسمح للشاب أن يستفيد من غير أستاذه ومربيه بحجة المحافظة عليه وحمايته.

٣- إعادة النظر في كثير من الأساليب التي توارثها المربون، والبحث عن مدى جدواها، ومدى مناسبتها مع مرحلتنا هذهِ التي نعيشها بمتغيراتها وظروفها.

٤- الارتقاء بالمربين وحسن اختيارهم، ففاقد الشيء لا يعطيه، ولا يتصور من بسطاء الناس المحدودي العلم والتربية والتفكير أن يرتقوا بغيرهم أو يهيئوهم للتربية.

٥- تطوير أساليب التعليم والارتقاء في التربية والتعليم، فأسلوب التلقين والإملاء لا يمكن أن يُخرج طلبة علم متميزين، فضلاً عن أن يخرج مربين وقادة.

ج- تهيئة الفرص واستغلالها في النمو التربوي

إن بيئتنا السائدة اليوم سواءً في العمل الفردي أو عمل المؤسسات لا تتيح الفرص لنمو المربين والقادة لان فرص المبادرة والايجابية والتفكير المستقل محدودة، وأجواء اختلاف الرأي ليست كما ينبغي وكلنا يعلم أن وحدة الصف لا تستلزم منا وحدة المنهج، وهذه الفرص وغيرها إن وجدت على المستوى النظري، فهي نادرة على المستوى العملي، مع العلم أن هذه الفرص هي التي تليق بالتربية التي تسعى لإعداد المربين والقادة.

د- تطوير طرق التعليم الشرعي. ومن مجالاته:

- الاعتناء بالفهم والاستيعاب.
- زيادة دور الطالب في التربية والتعليم.
- الاعتناء بمهارات الحوار والإقناع.
- الاعتناء بدراسة النوازل والقضايا المعاصرة.
- الاعتناء بتعلم القدر المناسب من الثقافة المعاصرة من أجل رقي لغة الخطاب مع الآخر.

ثانياً :- إبراز سير العلماء المربين

يفتقر الناس اليوم إلى المربين، وإلى الصفات التي يعرفون بها المربي الذي يستحق أن يُربّي ويُتَلقّى منه، والمربي الذي لا يستحق ذلك.

ومن هنا فإبراز سير الربانيين ومنهجهم في التعامل مع النصوص الشرعية وكيفية فهمها وإنزالها على أرض الواقع، وكذا في تربيتهم للآخرين والسير بهم إلى مرضاة الله تعالى، كل ذلك من شأنه أن يعطي الناس صفات المربي الذي ينبغي الإقتداء به والأخذ منه.

ثالثا :- السعي لإبراز المربين والقادة أمام الناس

من واجبنا أيضاً السعي لتعريف الناس بالمربين الناضجين الواعين لما يدور حولهم وإبرازهم أمام الناس، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال جوانب عدة منها :

١. تذكيرهم بالمسؤولية ودفعهم للمشاركة في خضم هذا المعترك.
٢. التعريف بهم وبيان منزلتهم لدى الناس.
٣. استضافتهم وإفساح المجال لهم للحديث في مجامع الناس.
٤. دفعهم للمشاركة في وسائل الإعلام وذلك له الأثر البارز في تعريف الناس بهم وانتشار كلمتهم.

رابعاً :– الحذر من تصدر الجهلة

حين تخلو الساحة من المربين يتسع المجال أمام الجهلة.

إن شعور فئة أو حركة معينة بأنهم هم – وحدهم – المؤهلون للتغيير، وأنهم هم الذين يملكون الحق وغيرهم على الباطل هو الذي يدفعهم إلى تصدير فئة من أبنائهم لا يملكون من التأهيل إلا مجرد الانتماء.

وأظن أن الوقت قد حان ليدرك العاملون للإسلام أنه ليس بوسع فردٍ أو فئة أن تحمل عبء الإصلاح والتغيير وحدها، فالواقع أكبر من جهد فردٍ أو جماعة، وأنه أيضاً قد حان الوقت لسعة الأفق في التعامل مع اجتهادات الآخرين، وتوسيع مجال التعاون.

خامساً :– الحكمة في التعامل مع اجتهاد الآخرين المخالف :

يعتري البشر في طبيعتهم النقص والقصور، أما الكمال فلله وحده – سبحانه وتعالى، وما زال أهل العلم منذ اول عصر الإسلام إلى يومنا هذا يخالف بعضهم بعضاً ويردّ بعضهم على بعض.

وقد أدت أوضاع الأمة اليوم إلى فقدان الاتزان في التعامل مع كثير من مسائل الاختلاف، مما أدى إلى نشوء فئة تدعو إلى إسقاط هؤلاء وانتقاصهم، أو فئة أخرى تغلو في اجتهاداتهم وتحولها إلى نصوص قاطعة.

لابد أن يتربّى الناس وطلاب التربية والعلم بوجه أخص على أن **الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق**، وأن العبرة بما دلّ عليه الدليل من الكتاب والسنة، وأن قول البشر كائناً من كان إنما يعرض على الأدلة الشرعية فيقبل ما وافقها ويترك ما خالفها، والحقيقة أن هذا من الأمور البديهية على المستوى النظري، أما على المستوى العملي فكثيراً ما نرى ونسمع الخلل.

ومـع ذلـك لابـد مـن أن يـتعلم الجيـل الربـاني الآن الـذي يبتغـي الله تعـالى –أن المخالفة في الاجتهاد لا تعني الانتقاص والذم من الآخرين.

يقول أبو سنان الأسدي:– ((إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس، فمتى يُفلحُ ؟!))[٢٨].

وقال ابن عساكر ((اعلم .... أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك من ناوأهم معلومة، وقَلّ من اشتغل في العلماء بالثلب إلا عوقب قبل موته بموت القلب))[٢٩].

وقال سيدنا علي (ﷺ) ((من استخفّ بالعلماء ذهبت آخرته))[٣٠].

وأحيانا يكون ترك إبداء الرأي في مسألة من المسائل، أو ترك التصريح بخطأ فلان بعينه أقل مفسدة من إسقاط المربين، لأنه حين يفقد الناس الثقة بالمربين، فمن البديل؟!

البديل : سيكون عند عامة الناس أحد أمرين أولهما : أن يفتوا أنفسهم ويخوضوا في دين الله بغير علم، والثاني: أن يلجأوا إلى طائفة من أهل الترخيص والانفلات في الفتوى.

سادساً :– الحذر من الغلوّ فيهم

في مقابل من يستهينون بأهل التربية ثمّت طائفة من الناس تغلو فيهم، ومن مظاهر الغلو :–

١. التسليم بصحة كل ما يقول المربي فيعتقد فيهم العصمة بلسان الحال لا المقال.
٢. الزعم بأنهم يحيطون بكل دقيقة وجليلة.

سابعاً :– الاعتناء بعمل المؤسسات

وذلك بإيجاد مؤسسات وجمعيات مستقلة من العلماء والفقهاء والمربين المعتبرين تُفتي الأمة في النوازل، وبإيجاد مؤسسات دعوية تربوية تُعنى بتنظيم الجهود التربوية

والدعوية يمكن أن تسد الثغرات التي لا يسدها الأفراد، وبالتالي تعطي هذه المؤسسات الإمكانات والقدرات العليا.

الخاتمة

في نهاية المطاف مع هذا البحث المتواضع نتوصل الى ما يأتي:

١) يمثل العمل التربوي بمجمله محاولة للتأثير في نفس الإنسان وسلوكه.

٢) هناك جملة سمات ينبغي أن تتوفر في شخصية المربي ذكرت في ثنايا البحث.

٣) لا يقتصر دور المربي على التلقين المعرفي بل يتعدى ذلك إلى توجيه وإرشاد.

٤) لغياب المربي آثار واضحة في سير العملية التربوية.

٥) العمل على إيجاد المربين من خلال الوسائل المتاحة للعمل ليأخذوا بزمام سير العملية التربوية في المؤسسات الاجتماعية.

هوامش البحث ومصادره ومراجعه

١- لسان العرب، ابن منظور، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت: مادة (رَبَبَ) ١ / ٣٩٩.

٢- أسس التربية، صالح ذياب ، دار الفكر، عمان، ١٤٠٩ هـ :١٠.

٣- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط١١، دار الشروق بيروت، ١٩٨٨م : ١/ ١٨.

٤- سورة آل عمران : الآية ٧٩

٥- سورة الرعد : الآية ١١

٦- رواه البيهقي في الكبرى، دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م : ١٠/ ١٩١(٢٠٥٧١).

٧- سورة القلم : الآية ٤.

٨- رواه أبو داود، دار الفكر، بيروت، د. ت : ٤/ ١٠٩(٤٢٩١).

٩- سورة الجمعة : الآية ٢.

١٠-ينظر، تربيتنا الروحية، سعيد حوى، ط٧، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٤م : ٢١٠.

١١-البخاري، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧ : ٢/ ٥٤٦ (١٤٣١).

١٢-رواه البخاري : ١/ ١٧٢ (٤٣٦).

١٣– رواه مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت : ٣/ ١٦١٠ (٣٨٧٦).

١٤– ينظر، البخاري :٣/ ١٤٥٣ (٦٧ وما بعده).

١٥– رواه البخاري : ٣/ ١٣٣٧ (٣٤٥٣).

١٦– رواه البيهقي في الكبرى :١٠/ ١٩٤ (٢٠٥٩٠)

١٧– ينظر، تفسير القرطبي ط١، دار ابن كثير، بيروت _دمشق، ١٩٩٩م : ص٥٠.

حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت:١٤/ ٣٥.

الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت: ص ٢٢.

١٨– الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ط١، بيروت، ١٩٨٥ م:١/ ٦٧.

١٩– مداواة النفوس، ابن حزم ، دار المشرق العربي، د.ط، د.ت : ص٧١.

٢٠– سورة النساء : الآية ٨٣.

٢١– مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط٢، دار الوفاء، مصر، ٢٠٠١م :٢٨/ ٥٠٦.

٢٢– البداية والنهاية، ابن كثير، ط٦، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م :١٤/ ٢١.

٢٣– سورة المائدة : الآية ٦٣.

٢٤– تفسير الطبري ، ط١، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٥م : ٤/ ٩٤٥.

٢٥– الوابل الصيب من الكلم الطيب: ١/ ٦٧.

٢٦– رواه البخاري : ٢/ ٩٥٨ (٢٥٤٧).

٢٧_ رواه البخاري : ١/ ٥٠ (١٠٠).

٢٨– ترتيب المدارك، القاضي عياض ، د.ط، د.ت : ٢/ ١٤.

٢٩– فيض القدير، المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦ هـ :٤/ ٣٧١.

٣٠– آداب الصحبة، السلمي ، دار الصحابة، مصر، ١٩٩٠م : ١/ ٦٢.